Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إذا رأوا جَمَلا يأتى على بُعُدٍ مَدُّوا إليه جميعاً كفَّ مقْتنصِ
أو جئتهم فارغا لزُّوك فى قَرَنٍ وإن رأوا رِشوة أفتوكَ بالرُّخصِ (١)

ولم يكن هؤلاء الفقهاء على جانب مذكور فى العلم والفقه، بل كانوا من علماء الفروع على مذهب مالك، لا تبعد آمالهم أكثر من ذلك، ولا يطلبون من الناس غيره، وبتحريض من هؤلاء الفقهاء حَجَرت الدولة على كتب الأصول، ومنها كتب الغزالى، وكتب الفلسفة.

هذا أمر ثان، وأمر ثالث ذكره المراكشى وهو بلوغُ نساء المرابطين فى الدولة مبلغاً خطيرا وشائنا، يقول: «وصارت كلُّ امرأة من أكابر لَمْتُونَةَ ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور، وأمير المسلمين فى ذلك كله يتزيد تغافُلُه ويقوى ضعفه.. (١)».

وإذا كانت هذه هى الحالة الداخلية، فإن الأمير على بن يوسف قد مضى على سنن أبيه فى مجاهدة النصارى، وجرت بينه وبينهم منذ سنة ٥٠١هـ حروب تحقق له فيها النصر، بيد أن سَرَقُسْطَة قد سقطت فى يد الفونسو سنة ٥١٢هـ، وكان لهذا الحادث أثر بالغ فى شرق الأندلس.

وفى سنة ٥١٤هـ أعلن محمد بن تُومَرت إمامُ الموحِّدين دعوته، وانتقضت قرطبة بأول ثورة على المـرابطين سنة ٥١٥هـ، يَرْجِعها بعض المؤرخين إلى نمو الفكرة القومية، وفى سنة ٥١٦هـ ثار محمد بن تومرت على المرابطين فى المغرب، وقد حقق الموحدون من الانتصارات ماكان له أكبر الأثر فى ذيوع حركة ابن تومرت.

ولقد بُويع عبدالمؤمن بن على زعيم الموحدين سنة ٥٢٦هـ، ولما مات على بن يوسف المرابطى سنة ٥٣٧هـ اضطربت أحوال الدولة، وشهد غرب الأندلس عدة

---

(١) المعجب ٢٤١.